

# الكناية في الآيات القرآنية (دراسة بلاغية في بعض الآيات القرآنية)

Oleh : Faisal Mubarak\*

## ملخص البحث

ونزول القرآن بلسان عربي، توج فصاحة العرب، وبرهن على بلاغتهم التي لا تبارى، فكان القرآن متحدياً لهذه الفصاحة الكاملة، وتلك البلاغة التامة، وأخذت عناية العرب بالأساليب البلاغية تنمو بعد ظهور الإسلام بدافع المداومة على قراءة القرآن الكريم والاستماع إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تجري على كل لسان، وقد عرف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخير ألفاظه، فيعنى بذلك أشد العناية، فقد أثر عنه أنه كان يقول (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن لقيت نفسي) كراهة أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه، ولما كان القرآن الكريم أرفع أنماط البلاغة دون استثناء فقد تعرض الرسول الكريم في تفسيره لتوضيح كثير من تشبيهاته وكنائمه، فنستنتج أن البلاغة برزت بدايتها بشكل واضح في هذا العصر خاصة لتزول القرآن الكريم على لغتهم.

---

أعضاء هيئة التدريس في قسم تعليم اللغة العربية بجامعة انتساري الإسلامية\*  
الحكومية

## المقدمة

القرآن كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه، وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وقد تحدى محمد رسول الله النبي الأمي العرب بإعجازه، وحكى لهم عن ربهم القطع بعجزهم عن الإتيان بسورة مثله، فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على إبطال دعوته، واجتثاث نبتته، ونقل جميع المسلمين هذا التحدي إلى جميع الأمم فظهر عجزها أيضا.

وكنا قد عرفنا أن العرب في فترة بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أصحاب الكلمات يتلاعبون بهما كيفما يشاؤون في أسلوب ممتاز رائع نثرا كان أو شعرا لأن هذا يتماشى مع قاعدة نزول المعجزات للرسل السابقين عليهم السلام، وهي المعجزة فيما تفوق القوم فيه، كموسى عليه السلام، و كان قومه بارعين في السحر فمعجزة موسى أكبر من سحرة قومه، وقوم عيسى عليه السلام بارعون في الطب فجاءت معجزة عيسى أكبر وأنجع من أدويتهم.

والقرآن يقرر بأن العرب بلغوا مرتبة رفيعة من البلاغة و  
البيان، وقد صور ذلك في آيات كثيرة ومنها { الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ  
الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }<sup>١</sup>، وقوله { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ  
تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأْتِهِمْ خُشْبٌ  
مُسْنَدَةٌ }<sup>٢</sup>، وقوله { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ }<sup>٣</sup>.

فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدى العرب  
بالقرآن على مراحل ثلاث<sup>٤</sup> منها تحداهم بالقرآن كله في أسلوب  
عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديا يظهر على  
طاقتهم مجتمعين، بقوله تعالى { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ  
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ  
ظَاهِرًا }<sup>٥</sup>، ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ  
قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }<sup>٦</sup>، ثم تحداهم بسورة واحدة { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ

<sup>١</sup> القرآن، الرحمن ٥٢ : ١-٤.

<sup>٢</sup> القرآن، المنافقين ٦٣ : ٤.

<sup>٣</sup> القرآن، البقرة ٢ : ٢٠٤.

مناع والقطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦،

ص ٢٥٩.

<sup>٥</sup> القرآن، الإسراء ١٧ : ٨٨.

<sup>٦</sup> القرآن، هود ١١ : ١٣-١٤.

فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
{٧٤} .

ولما نزل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل ظنت العرب أنه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن بعد ما سمعوا بعض الآيات القرآنية عرفوا بأنه ليس من كلام الإنس والجن، بل إنه من كلام الله تبارك وتعالى، لأن القرآن ظاهرة لم يسبق لها مثيل في اللسان العربي وليست آياته مما اخترع به النبي صلى الله عليه وسلم، يقول تبارك وتعالى { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }<sup>٨</sup> .

ومن العرب من زعموا أنهم عارضوا القرآن، فمنهم من ادعى بالنبوة وجعل ما يليق به من ذلك قرآنا، فمن أولئك مسيلمة الكذاب، تنبأ باليمامة في بني حنيفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أرسل إليه وفدا، و زعم مسيلمة أن له قرآنا نزل عليه من السماء ويأتيه ملك من السماء يسمى رحمن، ومن قرآنه

<sup>7</sup> القرآن ، يونس ١٠ : ٣٨ .

<sup>8</sup> القرآن ، يونس ١٠ : ٣٧ .

الذي جمعه قوله : والمبذرات زرعاً، والخاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والعاجنات عجنًا<sup>9</sup>.

ومنهم أيضاً طليحة بن خويلد الأسدي، وكان من أشجع العرب، يعد بألف فارس، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد أسد بن خزيمه سنة تسع فأسلموا، لما رجعوا تنبأ طليحة، وكان يزعم أن ذا النون يأتيه بالوحي، ومن قوله : إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أديباركم شيئاً، فاذكرو الله قياماً فإن الرغوة فوق الصريح<sup>10</sup>.

ونستطيع من خلال ذلك أن نلاحظ أن القرآن له أسلوب ممتاز لا يماثله شيء من أساليب العرب ونرى من حسن نظمه وإيجاز معانيه وتراكيبه ليس كما عبر به أصحاب الكذاب عن معارضتهم للقرآن مهما كانوا من أصحاب الفصاحة والبلاغة ولكنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله ولا يستطيعون أن يماثلوا أسلوب القرآن في فصاحته وبلاغته، ولذا قد أسلم كثير من الذين استمعوا إلى القرآن .

9 . صالح ، محمد أمين ، العرب والإسلام ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ، ١٩٩٧ ،

ص ١٦٠ .

10 . المصدر السابق، ص ١٦٠ .

وهذا يذكرنا بقصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه خرج يوماً متوشحاً بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان في الطريق التقى بنعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصبي الذي فرق أمر قريش، وسفها أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: إن ابن عمك سعيد بن زيد بن عمر فقد والله أسلماً وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما، فرجع عمر عامداً إلى أخته وابن عمه فقال: أصبوتما؟ فقالت أخته: لا، بل أسلمنا، وكانت في يد سعيد صحيفة، فتناولها عمر فقرأها وكانت سورة طه { طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى \* إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى }<sup>١١</sup>، فلما فرغ عمر من القراءة ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه<sup>١٢</sup>.

وقد سجل التاريخ أيضاً أن الوليد بن مغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: اقرأ علي، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }<sup>١٣</sup>، فقال المغيرة: أعد علي، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: والله إنه

<sup>11</sup> القرآن، طه ٢٥: ١-٢.

قرني طلبة بدوي، جواهر السيرة النبوية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،

<sup>12</sup> ١٩٩٠، ص ٢٥٨.

<sup>13</sup> القرآن، النحل ١٦: ٩٠.

لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول ذلك البشر<sup>١٤</sup>.

### مفهوم الكناية

تطلق لفظ الكناية من كنى يكنى وكناية ويقصد بها ما يتكلم به الإنسان ويريد غيره<sup>١٥</sup>، ويقال كنىت بكذا ويطلق الكلام على العبارة المخصوصة. وأما في الإصطلاح وهي الكلام أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز المعنى الأصلي.

والكناية في الحقيقة مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها، وأنها في صورة كثيرة تعطي الحقيقة مصحوبة بدليلها<sup>١٦</sup>.

دراسة بلاغية في بعض الآيات القرآنية

١. ٥ آل عمران، ٣: ١١١

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يُفَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١)

عبد الكريم الخطيب، *إعجاز القرآن*، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص١٤٦.

الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع*، دار احياء الكتب العربية، مصر، ص ٧٥.

<sup>١٦</sup> علي الجارم، *البلاغة الواضحة*، مكتبة الروضة، جاكرتا، ص. ١٤١.

وفي هذه الآية الكريمة أخبر الله جل وعلى عباده المؤمنين وبشرهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب، فذكر أن هؤلاء الكافرين الفاسقين لن يلحقوا بكم إلا ضررا بسيطا كالسب والهجاء والتوعد باللسان ومحالة الصد عن دين الله، والظعن في الدين، وإلقاء الشبهات، وتحريف النصوص<sup>١٧</sup>.

### التوجيه البلاغي

١. كناية، وهو في قوله تعالى { يُؤَلُّوْكُمْ الْأَدْبَارَ } وهي كناية عن الإهزام، فالمنهزم يحول ظهره إلى عدوه.

٣. ١. ٦. ال عمران، ٣ : ١٢١-١٢٦

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)

<sup>17</sup>الشوكاني، تفسير المنير، ج ٣، ص ٤٢.

لقد بين الله تبارك وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه السلام بأن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد إنما في طاعته وتوكله، ولذا لما كان المسلمون توكلوا عليه وامتلوا أوامره وأوامر نبيه، وكانوا قليل العدد، إذ كانوا نحوًا ثلاث مائة والكفر نحو ألف، وليس معهم سوى فرسين، ومع المشركين الخيول والدروع والفرسان والأبطال.

وقوله تعالى { ولقد نصركم الله ببدر } لقد كانت وقعت أحد لم تنكشف عن نصر المسلمين، عقب الله ذكرها، بأن ذكرهم الله تعالى نصره إياهم، النصر الذي قدره لهم يوم بدر، وهم نصر عظيم، إذا كان نصر فئة قليلة على جيش كثير، ذي عدد وافرة، وكان قتلى المشركين يومئذ سادة قريش، وأئمة الشرك كمثل أبي جهل ابن هشام<sup>18</sup>.

وقوله { وأنتم أذلة } قلة وما ذاك إلا أن جيوش المسلمين قتلها متمسكة بدينها مطيعة لرسولها وقائدها ما لم يكن لهم اعتماد إلا على الله وحده، ثم لما ذكرهم الله بتلك المنة العظيمة ذكرهم بأنها سبب للشكر لأمرهم بملازمة التقوى.

التوجيه البلاغي

<sup>18</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٧٢.

١. قوله تعالى {إذ تقول للمؤمنين} أنى بالمضارع لحكاية لماضي بطريق استحضار الصورة في الدهن<sup>١٩</sup>.
٢. كناية، وهي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه<sup>٢٠</sup>، وهو في قوله تعالى {وأنتم أذلة} الكلام كناية عن قلة عددهم وعدتهم وما كان بهم من ضعف الحال، وذلك على أنهم خرجوا على النواضح يعقب منهم النفر على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد.
٣. الاستفهام الإنكاري، وهو في قوله تعالى {ألن يكفيكم} الهمزة هنا للاستفهام الاستنكاري حيث احوالت النفي إلى إيجاب<sup>٢١</sup>.
٤. كناية، وهو في قوله تعالى {من الملائكة مسومين} ووصف الملائكة بذلك كناية على كونهم شدادا<sup>٢٢</sup>.

---

<sup>19</sup>الزهيلي، التفسير المنير، ج٣، ص١١٢.  
الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٨.

<sup>21</sup>الصافي، إعراب القرآن، ج٢، ص٥٠.

<sup>22</sup>ابن عاشور، التبرير والتنوير، ج٣، ص٧٦.

## المراجع

مناع والقطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة.

.١٩٩٦

صالح، محمد أمين، العرب والإسلام، مكتبة فحضة الشرق، القاهرة،

.١٩٩٧

قرني طلبة بدوي، جواهر السيرة النبوية، المكتبة التجارية الكبرى،  
مصر، ١٩٩٠.

عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، بيروت،  
١٩٩٧.

الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار احياء الكتب  
العربية، مصر.

علي الجارم، البلاغة الواضحة، مكتبة الروضة، جاكرتا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس. محمد طاهر  
الزهيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لبنان، دار الفكر. وهبة  
الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية،  
بيروت